التأثير التلمودي على مرويات المسلمين

1

ما هو التلمود ؟

2

- مصطلح تَلمود תַּלְמוּד في اللغة العبرية عبارة عن صيغة مشتقة من كلمة «لمد» לָמַד، والتي تعني تعلّم ودرس..... (تتلمذ) في العربية.

3

- التلمود عبارة عن خلاصة النقاشات والآراء الحاخامية القديمة والممتدة على مدى قرون حول المسائل الشرعية المختلفة المتعلّقة بالمسائل العبادية والمعاملاتية لأتباع الشريعة الموسوية، من قبيل أحكام الطهارة والنكاح والطلاق والنذور والقرابين والزراعة والتجارة والعقوبات والديات وغير ذلك .

4

- فاليهود يعتقدون أن الله أوحى إلى موسى شريعتين:
- الشريعة المكتوبة «التوراة»
- والشريعة الشفوية وهي «المشنا» (المثنى/مثاني) وكأنها تثنّي وتؤكد مضمون الشريعة المكتوبة.
- وكأنه بمثابة السنة في مقابل الكتاب.

5

- ويقولون أن موسى قد نقل هذه الشريعة الشفوية إلى جانب المكتوبة إلى الشيوخ السبعين، وبدورهم نقلوها إلى مَن بعدهم من أحبار اليهود، ثم قام علماء اليهود بجمع هذه المرويات الشفوية المتناقلة عبر الأجيال وتدوينها.

6

- **ما تم تدوينه من التعاليم الشفوية لموسى (المشنا) صار متن التلمود، والتعليقات والشروحات والملاحظات والمناقشات التي تمّت عليه من قبل حاخامات اليهود صارت شرح التلمود وأطلق عليها اسم «الجِمارا» وهي كلمة آرامية تعني التتمة أو الدراسة.**
- **هذا الشرح والتعليق الذي تم في العراق مع المتن أطلق عليه عنوان (التلمود البابلي) واستغرق العمل عليه ما يقارب ثلاثمائة عام «210-500م».**

7

- **والشرح والتعليق الذي تم في فلسطين مع المتن أطلق عليه عنوان (التلمود الأورشليمي/ الفلسطيني)، وهو أصغر حجماً من التلمود البابلي.**
- **اشتملت الشروحات في التلمودين على أحكام وفتاوى وحكايات وأساطير وخرافات، وتأثراً بمؤثرات ثقافية ودينية مختلفة، كاليونانية والرومانية، والبابلية والفارسية والمصرية.**

8

- **أيُّ تفسير للتوراة يخالف ما جاء في التلمود لا يمكن أن يكون معتمداً، فالتلمود يفرض سلطته على النص التوراتي ويجعله تابعاً له عملياً، فالتلمود يحكم التوراة ولا تحكم التوراةُ على التلمود.**

9

- **سنقوم الآن بتسليط الضوء على مفردة من مفردات التأثير التلمودي على مرويات المسلمين، وهي مفردة لا تخلو من ظرافة وغرابة في آن واحد.**

10

الضفدع والوزغ في مرويات

11

- **عندما تحدث المحققون عن التأثير الإسرائيلي على مرويات المسلمين، فإن جزء من هذا التأثير جاء من خلال محتوى التلمود، وليس بتأثير من التنخ (العهد القديم)، كما أن جزء آخر منه يعود إلى التراث اليهودي خارج نطاق التنخ والتلمود كالمدراش مثلاً وهو تفسير وشرح للتنخ.**
- **سأستعرض اليوم نموذجاً واحداً من تأثير التلمود على مرويات المسلمين.**

12

- تحدثَت بعض الروايات عند الشيعة والسنة عن دور للضفدع في محاولة إطفاء النار التي أريد إحراق النبي إبراهيم (ع) بها... ولنلاحظ الرواية التالية التي يرويها الصدوق في الخصال بالسند عن داود الرقي، عن أبي عبدالله «ع» قال: :

13

(لما أُضرمت النار على إبراهيم «ع» شكَت هوام الأرض إلى الله «عز وجل» واستأذنته أن تصب عليها الماء، فلم يأذن الله «عز وجل» بشيء منها إلا للضفدع، فاحترق منه) أي من جلده (الثلثان وبقي منه الثُّلث).

14

- وبالتالي ورّثت الضفادع التي تظهر بصفة الجلد المحروق إلى نسلها فيما بعد كما نشاهد ذلك اليوم!
- بالطبع هناك عدة أسئلة ذات طابع عقلي وعلمي يمكن طرحها على النص السابق، من قبيل هل الضفادع التي لها هذه الصفة في العالم كله هي من نسل تلك الضفادع التي شهدت الحدث قبل أقل من 4000 سنة؟

15

- ما فلسفة الإذن للضفادع للمشاركة دون سائر المخلوقات؟
- هل طينتها طيبة مثلاً دون سائر الكائنات؟
- هل نيتها صافية دون سائر الكائنات؟
- هل قدرتها تفوق قدرة سائر الكائنات في الإطفاء؟
- هل يمكن للضفدع أن تسعى لإطفاء النار، بينما النار تشوي الطير في السماء فيقع مشوياً كما في بعض الروايات وكتب التفسير؟

16

- هناك رواية أخرى ولكن هذه المرة في تفسير القمي عن الصادق (ع)، وفيها مقارنة بين سلوك الضفادع مع سلوك الوزغ (البرص/أبوبريص/البريعصي/ضاطور/ برعصي/سامٌّ أبرص):

17

(وكان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم، وكل الضفدع يذهب بالماء ليُطفيء به النار. قال: ولما قال الله للنار: [كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا] لم تعمل النار في الدنيا ثلاثة أيام). أي صارت النار بلا حرارة.

18

- ويبدو أن لمقولة نفخ الوزغ في النار –والموضوعة على لسان الصادق «ع»– أصل أسبق، حيث جاء في مرويات أهل السنة كالتالي:

19

(من طريق ابْن جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، أَنَّ نَافِعًا، مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ «ص» قَالَ: [اقْتُلُوا الْوَزَغَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ «ع» النَّارَ].
قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقْتُلُهُنَّ).

20

وفي رواية أخرى عَنْ نَافِعٍ أيضاً:

(أَنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ فَإِذَا رُمْحٌ مَنْصُوبٌ، فَقَالَتْ: مَا هَذَا الرُّمْحُ؟ فَقَالَتْ: نَقْتُلُ بِهِ الْأَوْزَاغَ، ثُمَّ حَدَّثَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص» [أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، جَعَلَتِ الدَّوَابُّ كُلُّهَا تُطْفِئُ عَنْهُ، إِلَّا الْوَزَغَ فَإِنَّهُ جَعَلَ يَنْفُخُهَا عَلَيْهِ]).

21

وفي رواية ثالثة عَنْ نَافِعٍ أيضاً ولكن هذه المرّة يرويها: (عَنْ أُمِّ سِيَابَةَ الأَنْصَارِيَّة، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» حَدَّثَهَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ كَانَتِ الدَّوَابُّ كُلُّهَا تُطْفِئُ عَنْهُ النَّارَ إِلا الْوَزَغَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفُخُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» بِقَتْلِهَا).

22

- وفي رواية رابعة أن الوزغ لم يكن قبل هذه الحادثة بهذا الشكل، وإنما جرى له ذلك عقوبة له، أو نتيجة إصابته بالحريق فورّث ذلك لنسله، عن مُعاذ:

23

(عن عائشة قالت: دخلَ رسول الله «ص» عليَّ وفي يدي عُكَّازٌ فيه زُجٌّ) حديدة في رأس الرمح (فقال: يا عائشة مَا تَصنعِين بهذا؟ قلت: أقتُلُ به الوَزَغَ في بيتي. قال: إن تفعلي فإنّ الدَّوَابَّ كلها حين ألقي إبراهيمُ «ص» في النَّار كانت تُطفئ عنه وإنّ هذا كانَ ينفخُ عليه، فَصَمّ وبَرِص).

24

وفي رواية خامسة نجد للضفدع حضوراً، عَنْ عُرْوَةَ: (عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ «ص» قَالَ: [كَانَتِ الضُّفْدَعُ تُطْفِئُ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ الْوَزَغُ يَنْفُخُ فِيهِ، فَنُهِيَ عَنْ قَتْلِ هَذَا، وَأُمِرَ بِقَتْلِ هَذَا]).

25

- وفي رواية سادسة نجد أن الحدث لا علاقة له بقصة النبي إبراهيم، بل بحادثة أخرى.

26

عَنْ كَثِيرِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ:

(إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ عَائِشَةَ إِذْ رَأَتْ وَزَغًا فَقَالَتْ: اقْتُلْ اقْتُلْ. قِيلَ: مَا شَأْنُهُ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ النَّارَ يَوْمَ احْتَرَقَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ الضِّفْدَعُ يُطْفِئُ).

27

- وفي رواية سابعة لا علاقة لها أيضاً بقصة إحراق النبي إبراهيم، بل بقصة النبي موسى وإحدى آياته، فعنْ عِكْرِمة:

28

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى آلِ فِرْعَوْنَ مِنَ الضَّفَادِعِ، كَانَتْ تَأْتِي الْقُدُورَ وَهِيَ تَغْلِي مِنَ اللَّحْمَانِ) أي اللحوم (فَتُلْقِي أَنْفُسَهَا فِيهَا، فَأَشَابَهَا اللَّهُ بَرْدَ الْمَاءِ وَالثَّرَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

29

- ولكي نفهم الرواية السابقة أكثر نطالع هذه الرواية عن عكرمة أيضاً قال:

30

(قال عبد الله بن عمرو: لا تقتلوا الضفادع، فإنها لما أُرسلت على بني إسرائيل انطلق ضفدع منها، فوقع في تنور فيه نار، طلبت بذلك مرضاة الله، فأبدلهن الله أبرد شيء تعلمه، الماء، وجعل نقيقهن التسبيح).

31

تحليل مضامين الروايات

32

- السيناريو المحتمل في ظهور هذه المرويات أن الأصل في خصوص روايات قتل الوزغ ما في رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بقتل الوزغ، وسمَّاه فُويسقاً).
- فالأصل عدم قتل الكائنات الحية بلا سبب إلا ما كان منها مضراً، والفويسقات كالفأرة والوزغ وأمثالها جاء الأمر (أو الإباحة) في قتلها لما لها من ضرر.
- والوزغ تصاحبه وتصاحب فضلاته بكتيريا خطيرة مضرة.

33

- ثم تم تحوير هذا الأمر (أو الإباحة) بقتل الوزغ لسبب صحي، وربطه بقضية تاريخية، هي قصة الخليل إبراهيم.
- وجُعل هذا التحوير على لسان أم المؤمنين عائشة، إذ كان الوضاعون يختارون الأسماء البارزة في المدارس المختلفة لوضع الروايات على لسانها.
- ثم تطوّرت بإقحام الضفدع من خلال روايات أخرى مرتبطة بقصة النبي موسى أو بقصة النبي إبراهيم وعلى لسان ابن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص.

34

- وحيث أن الكثير من مروياتهما ذات طابع أو أصل إسرائيلي، (عبدالله بن عمرو بن العاص أخذ عن كعب الأحبار) لذا فإن البحث يقودنا عن الأصل الإسرائيلي المحتمل لتلك المرويات... وفعلاً بالتتبع استطعت الوصول إلى رأس الخيط.

35

- قال ابن كثير في تفسيره: (قال كعب وقتادة والزهري: ولم تبق يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ، فإنها كانت تنفخ عليه).
- وهكذا نعلم أن المصدر المحتمل لإقحام الوزغ في قصة النبي إبراهيم هو كعب أحبار اليهود.. فكيف تم ذلك؟

36

- في الأساطير القديمة هناك علاقة بين السلمندر (الذي يصوّر بهيئة شبيهة بالوزغ) وبين النار.

37

- يروي بلينيوس الأكبر العديد من الصفات حول السلمندر من بينها قدرته على إخماد الحريق ببرودة جسده، وهي صفة اعتبرها أرسطو – مِن قبلُ – مجرد إشاعة.

38

39

- **هذه التصور الأسطوري حول السلمندر انتقل إلى التراث اليهودي، ومنه انتقل إلى التلمود البابلي الذي نجد فيه ما ترجمته عن الإنجليزية أن :**

40

(الربي أباهو قال أن الربّي أليعازر قال: أن نار جهنم لا تؤثّر في علماء التوراة. ويمكن تفهّم ذلك من خلال السلمندر، وهو كائن مخلوق من النار، ومحصّن تجاه آثاره ودمه مضاد للنار. فإذا كان السلمندر – المخلوق من النار وفوق ذلك دَهن جسده بدمه – لا تؤثّر به النار، كذلك فإنه لن يكون أي تأثير على علماء التوراة

41

الذين أجسادهم كلها نار، كما جاء في سفر أرميا [أَلَيْسَتْ هكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ] «23: 29»، وكلمات التوراة تصبح جزء من أجساد علماء التوراة).

42

- ويقول الربي راشي وهو المعلق الرئيس في التلمود: أن السلمندر الواحد يَنتج عن إشعال النار في نفس المكان لمدة سبع سنوات.
- وهكذا تتضح العلاقة التلمودية بفكرة الوزغ والنار في قصة النبي إبراهيم.
- فقد أخذ كعب الأحبار هذه الأسطورة التلمودية، وربطها بقصة النبي إبراهيم والنار، وقدمها للمسلمين، فدخلت تراثهم عن طريق بعض الشخصيات.

43

- وقد وجدت خلال دراستي لمجموعة من القضايا المتعلقة بالقصص القرآني في مرويات المسلمين أن هذا الأسلوب متكرر (تحريف القصة وتقديمها على أنها قصة توراتية مثلاً.. آصف بن برخيا–عزير.. إلخ).

44

- ننتقل الآن إلى مصدر روايات الضفدع.
- الضفدع فهو من الآيات التسع المرتبطة بقصة النبي موسى (ع) والتي ذكرها القرآن:

45

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ
فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ)

[الأعراف:133]

46

وفي سفر الخروج من التوراة:

(فَيَفِيضُ النَّهْرُ ضَفَادِعَ. فَتَصْعَدُ وَتَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى مِخْدَعِ فِرَاشِكَ وَعَلَى سَرِيرِكَ وَإِلَى بُيُوتِ عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَإِلَى تَنَانِيرِكَ)

الأفران (وَإِلَى مَعَاجِنِكَ) مواضع عجن الخبز.

47

- هذا الحدث جعل للضفدع قيمة كبيرة في الثقافة اليهودية.
- وقد ذكر (آري كاهن) في كتابه (أصداء عدن) أن الضفادع تُعتبر مخلوقاً مُلهماً للأجيال اللاحقة من اليهود التي واجهت ظروفاً عصيبة، حيث أن الله – بحسب الروايات الحاخامية – أمر الضفادع بأن تلقي بنفسها في أفران المصريين، ففعلت دون تردد.

48

- ونجد في التلمود – بعد ذكر الآية السابقة من سفر الخروج – ما يشير إلى هذه الفكرة حيث تقول العبارة ما ترجمته من الإنجليزية:

49

(إذا كانت الضفادع – لتنفيذ الأمر بمضايقة المصريين – دخلت الأفران المحترقة، فمن باب أولى لنا نحن المكلّفين بتقديس اسم الله، يجب أن نسلم أنفسنا للموت في الفرن الناري تقديساً لاسمه).

50

- ومن هنا دخلت – من خلال الثقافة اليهودية التي تجعل للضفادع قيمة كبيرة – مفردة الضفدع والتضحية ضمن قصة إحراق النبي إبراهيم (ع) بالنار، وقد عهدنا منهم تحوير قصص التراث اليهودي في أكثر من مورد، ثم تغلغلت في الروايات المختلفة حتى وصلت إلى كتب الشيعة بعنوان قال الباقر وقال الصادق.

51

شكراً لحسن المتابعة

52

53

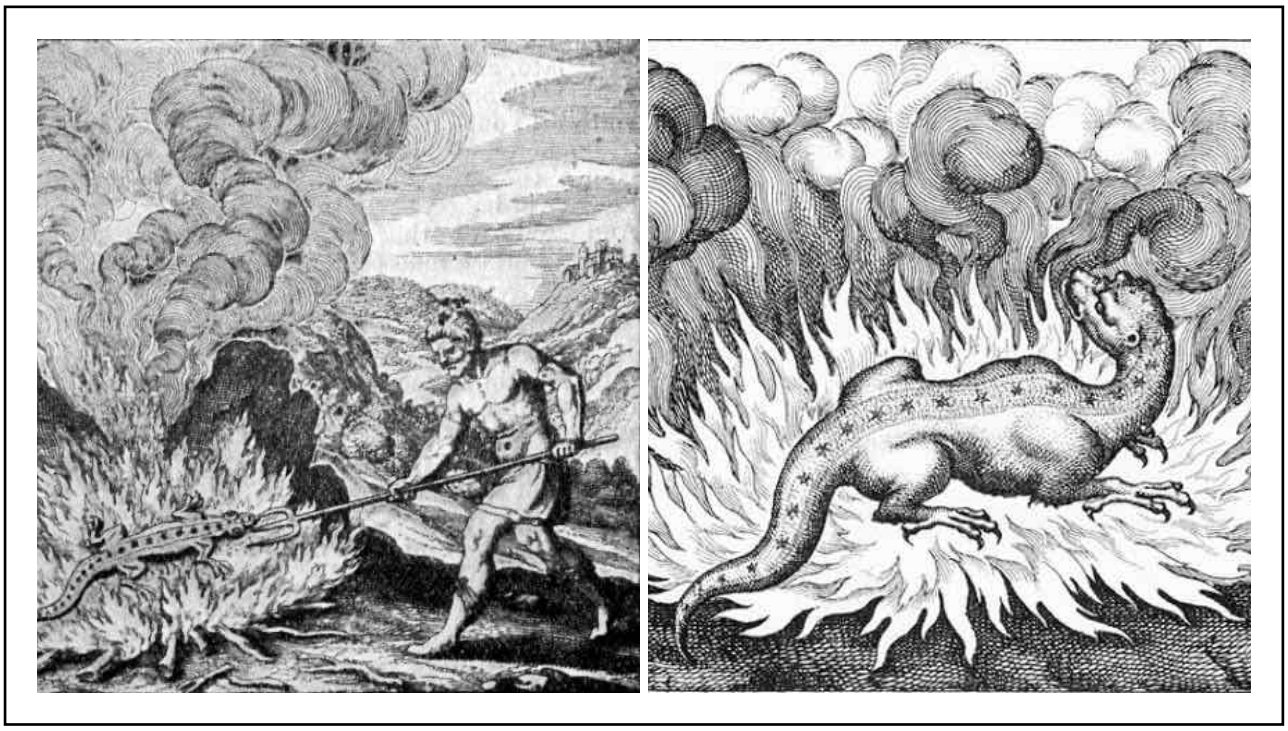

54

شعاران لمؤسستين مختلفتين ترتبطان بالحرارة والنار

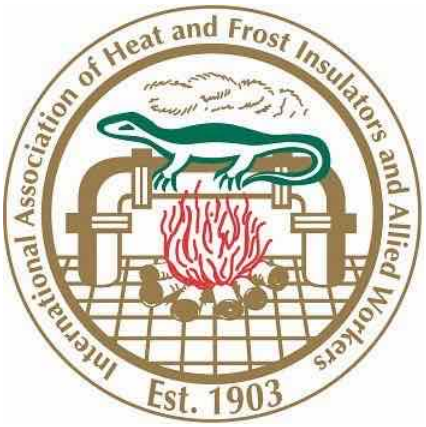

55

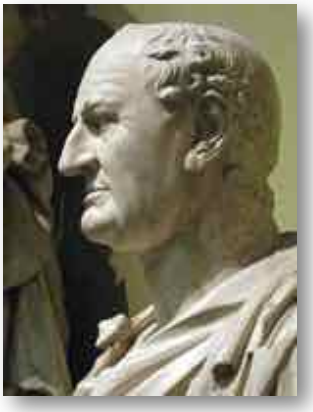

بليني الأكبر واسمه گايوس پلينيوس سِكوندوس Gaius Plinius Secundus (ت79م). أشهر مؤرخ روماني، كتب الكثير من الأعمال الجغرافية والتاريخية والطبيعية والفنية التي لم يتبق منها سوى 37 مجلداً حول التاريخ الطبيعي، ولها حيّز كبير في إثراء الثقافة الرومانيّة في تلك الحقبة. كانت كتبه مرجعاً في العصور الوسطى.

56